

لا تنسَ أن تعيش

الكاتب



محمد القبيسي

عدت أنا ورفيقة دربي من حفل زفاف مستقلين سيارتنا، تماماً كما حدث في ليلة زفافنا التي كانت من أجمل أيام حياتنا، لكننا اليوم نعود من حفل زفاف آخر العنقود: ابنتنا الحبيبة. في المقابل فقد تزوج أبنائنا وبناتنا منذ بضع سنوات، وأول حفيد مُقدم على التخرج قريباً في الكلية العسكرية، تماماً مثلما كان حال أبيه وجده.

كل تلك السنين مرت وكأنها مجرد ثوان معدودات تُعرض على شريط الذاكرة المملوء بالذكريات، فتذكرت كم أخذ العمل من وقتي، وكُم كنت منغمساً ومشغولاً بمتطلبات الوظيفة والأعمال الخاصة، حيث كنت حتى أثناء جلوسي في البيت أو خلال قضائي لإجازة برفقة عائلتي، مجرد جسد بين أبنائي، بينما كان عقلي يحوم في عالم المال والأعمال. تذكرت أيضاً الكثير من الليالي التي كنت أعود فيها إلى المنزل متأخراً، لأطبع قبلاطي على جبين كل واحد من أفراد الأسرة عندما كانوا يغطون في نومهم، كما عادت بي الذاكرة إلى الوقت الذي كنت أرجع فيه مبكراً إلى المنزل فأشغل بأعمالي الخاصة. وكانت زوجتي الحبيبة قبل أن تأخذ أطفالنا إلى غرفة النوم، تقول لهم: قَبَلُوا والدكم، فكنت أقبلهم على عجلة. وبعد أن يذهبوا إلى النوم كنت أحدث نفسي على الدوام: غداً أتفرغ للجلوس معهم، لكن ذلك الغد لم يأت أبداً.

فها أنا إلى اليوم لا أجد متسعاً من الوقت لأجلس مع أسرتي، بعد أن مرت السنون بسرعة خاطفة. وها أنا أعود من الزفاف بعد أن سلّمت ابنتي الصغرى إلى حياتها الجديدة، قبل أن أقضي معها ما يكفي من اللحظات الجميلة. إن تجربتي والحب الذي أحمله تجاه أبنائي، يوجب عليّ أن أنصح الجميع بأن يعيشوا تفاصيل حياتهم الصغيرة ويستمتعوا بكل لحظة فيها مع أسرتهم وأبنائهم، فتشاركهم كل شيء: اللعب والقراءة والفرح، وخيبات الأمل ولحظات النجاح.

عشُ الحياة لحظة بلحظة فالقطار يمر مسرعاً، ولا تدع عمك مهما كان، ولا طموحاتك مهما علت، أن تسرق من بين

أحضانك أكثر اللحظات قدسية؛ تلك اللحظات التي يمكنك أن تقضيها إلى جانب من تحب، والتي لا يمكن تعويضها أبداً. فالיום الذي ينقضي لن يعود إلى آخر الدهر. عش يومك، ولا تنسَ في طريقك للبحث عن حياة، أن تعيش واحدة هي بين يديك الآن. فالحاضر هو كل ما نملكه، أما المستقبل فحلم غير ملموس، ولا شيء أضمن في الحياة من مشاركة الحياة بكل تفاصيلها الصغيرة مع مَنْ نحبهم. وفجأة رنّ المنبه فاستيقظت من نومي، وحمدت الله على أن كل ما فات كان حلماً، ورفعت يدي بالدعاء إلى الله أن يُقدّرني على تعويض كل ما فات لعائلتي.

uaeall@hotmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.